بسم الله الرحمن الرحيم

السبت 5/7/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة دعوت ربي

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

من دعوات القرآن الكريم دعوة وردت في سورة البقرة على لسان المؤمنين الذين امتدحهم الله تعالى ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: 201] وهذه الدعوة من جوامع الكلم.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ – أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ – أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ. [مسلم].

موضوع الدعاء مهم جداً, في بعض الأحيان يقع على لسان بعض الناس دعاء لا يدري بأنَّ هذا الدعاء سيكون سبباً في سوق ألم بالنسبة له. أحياناً إنسان يكون في راحة يقول: اللهم أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين, وهي آية من القرآن ومعناها أن يا رب, ابتليني بلاءً شديداً وأعنا عليه عوناً شديداً حتى نصبر وتفرغ علينا الصبر إفراغاً, لا تقل هذا إذا كنت في غير بلاء, أما إذا كنت مبتلى بمرض أو ضائقة أو شدة أو ألم أو كرب عظيم, فليقل أفرغ علينا صبراً, أما إذا كنت في راحة فلا تقل أفرغ علينا صبراً. هذا الصحابي أراد أن يفعل شيئاً جيداً يا رب, بدل أن تعذبني في الآخرة عذبني في الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِ رَجُلٍ فَفَارَقَهُ حَتَّى قَالَ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [عمل اليوم والليلة لابن السني].

أي كان يعلمهم أن يقولوا: ربنا آتنا في الدنيا حسنة.

قال العلماء: ما الحسنة التي في الآية؟

ما عليه أكثر العلماء بأنَّ الحسنة في الدنيا: تشمل كل مطلوب في الدنيا من عافية, ودار رحبة, وزوجة صالحة, ورزق واسع, وعلم نافع, وعمل صالح, ومركب هنيء, وثناء جميل.

انظر لدعاء القرآن الكريم فيه جوامع الكلم.

وحسنة الآخرة: هي الجنة ورضى الله عز وجل, وهي تيسير الحساب, وهي الأمن من الفزع الأكبر, وهي النجاة من النار.

قال سيدنا علي في تأويل هذه الآية: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ((هي الزوجة الصالحة)) وهذه من أبرز حسنات الدنيا, ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ ((هنَّ الحور العين في الجنة)) ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ((هي المرأة السيئة)) [القرطبي].

اللهم لا تبتلينا؛ لأنَّ الزوجة السيئة ابتلاء, وهذا من التأويل, لكنَّ الذي عليه العلماء ما مضى.

لكنَّ الملاحظ في هذه الآية شيء, وهو أنَّ الآية مقسمة إلى ثلاثة مقاطع:

الأول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾.

الثاني: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

الثالث: ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

اثنان منهما متعلقان بالآخرة, وواحد متعلق بالدنيا, فأنت إذا أردت أن تسعى وأن تجهد مطلوب إليك أن تعمل بالدنيا, لكننا إذا أخذنا الأمر من جانب نظري يجب عليك العمل للآخرة ثلثين وللدنيا ثلث واحد, ثلثي دعائك للآخرة وللدنيا ثلث واحد, وهذه وقفة وقفها العلماء مع هذه الآية.

عَن حبيب بن صهْبَان الْكَاهِلِي قَالَ: ((كنت أَطُوف بِالْبَيْتِ وَعمر بن الْخطاب يطوف مَا لَهُ إِلَّا قَوْله: رَبنَا آتنا فِي الدُّنْيَا حَسَنَة وَفِي الْآخِرَة حَسَنَة وقنا عَذَاب النَّار مَا لَهُ هجيري غَيرهَا)) [الدر المنثور] أي ليس هناك شيء يدندن به ويذكره على لسانه أكثر من أي شيء إلا هذه الآية ((وقال ابن جريج: بلغني أنه كان يأمر أن يكون أكثر دعاء المسلم في الموقف هذه الآية)) [القرطبي] وأنتم

تذكرون أيها الإخوة من ذهب منكم إلى العمرة أو إلى الحج إذا وصل إلى ما قبل الحجر الأسود بين الركنين فإنه يقرأ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: «**مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟**» قَالَ: أَتَشَهَّدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حولهما ندندن**» [صحيح ابن خزيمة].

يقول أحد المفسرين في تفسير ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾:

((إنَّ هذا التعليم الإلهي يحدد لمن يكون الاتجاه ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره وترك لله الخيرة ورضي بما يختاره له الله فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة)) أي لا تخف لا على الدنيا ولا على الآخرة؛ لأنَّ الله يحفظهما لك, هناك من الناس من يعتقد أنه إذا جاء إلى المسجد سيضيع الدنيا, هناك بعض الشباب يقول: أنا أريد الالتزام لكن هؤلاء جماعة المسجد لا يضحكون ولا يذهبون إلى الملعب ولا يذهبون إلى المسبح ...لكننا في المسجد نضحك ونذهب إلى المسبح, لا يفوتك شيء إذا سلمت قيادك لله كفل لك الدنيا والآخرة ((إنَّ هذا التعليم الإلهي يحدد لمن يكون الاتجاه, ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره, وترك لله الخيرة ورضي بما يختاره له الله, فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة, ومن جعل همه الدنيا فقد خسر في الآخرة كل نصيب, والأول رابح حتى بالحساب الظاهر, وهو في ميزان الله أربح وأرجح, وقد تضمن دعاؤه خير الدارين في اعتدال وفي استقامة على التصور الهادئ المتزن الذي ينشؤه الإسلام)).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فإنَّ الدنيا بلاغ إلى الآخرة**» [تاريخ دمشق لابن عساكر] لا يرضى الإسلام لواحد منا من شدة قربه إلى الله تعالى أن يقول أنا لم أعد أريد العمل ولا الذهاب إلى الجامعة, ولا أريد أن أرى أحداً ولا أريد السفر ولا أريد الاختلاط بالناس, سأجلس في المسجد ولن أخرج أبداً, الإسلام لا يرضى.

«**ولا من ترك آخرته لدنياه**» الإسلام لا يرضى لواحد منا أن يبقى في العمل من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة العاشرة ليلاً, ولو قلت له تعال إلى المسجد يقول لك والله لا يوجد لدي وقت, زوجتي وأولادي لا أجد لهم الوقت, الإسلام لا يرضى بهذه الصورة.

يدخل إلى العمل ولا يخرج لطاعة وإقبال على الله غلط, لذلك يا شباب يا من تخططون الآن لحياتكم ليس صواباً أن تخرج إلى العمل في الثامنة صباحاً وتعود في التاسعة ليلاً, ولو جاءكم رجل خاطب لابنتكم وقالوا لكم هو رجل من عمله إلى بيته ومن بيته إلى عمله فلا تزوجوه؛ لأنه يجب أن يكون من بيته إلى عمله إلى مسجده, أين سيتصل قلبه بالله؟! الإسلام لا يرضى؛ لأنك لست جسداً يأكل ويشرب فقط, لكنك روح أيضاً تريد أن تتصل بالله عز وجل «**ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فإنَّ الدنيا بلاغ إلى الآخرة**» فالناس خارج المساجد ليس لها هم إلا كيف تأكل وتشرب, وكيف تأتي بالبيت وبالسيارة, المسلم لديه هذا الأمر لكن لديه قسم آخر أيضاً وهو كيف يزيد علاقته مع الله, كيف يدخل حب الله في قلبه, كيف يحفظ القرآن الكريم, كيف يساعد أهل الحاجة, عنده هم الدنيا وهم الآخرة, لكنَّ الله يعينه فيتكفل له إذا اتجه إليه بأمور دنياه وآخرته. لذلك دعوات القرآن الكريم دعوات جامعة وفيها تربية وفيها زرع لاعتقادات في داخلك من حيث تدري أو لا تدري.

الآن لو أنك قلت عشر مرات رأسي يؤلمني سيؤلمك رأسك, تكرار هذه العبارات تزرع باللاوعي شيء, لما يزرع الإسلام عندك ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ مع التكرار يجعل في اللاوعي عندك أنه مطلوب منك أن تقطف من ثمار الدنيا بالحلال, ومطلوب منك أن تجتهد للآخرة ما استطعت, ومن حيث لا تدري سيتحول الأمر معك إلى ثلث الثلثين على أساس أن تكرر هذا الدعاء.

نسأل الله عز وجل أن يجمع لنا خيري الدنيا والآخرة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.